



الحلقة ٢١

بالمواقف وأثرى بالتفاصيل التي وإن كان عمرها أكثر من خمسين سنة إلا أنها تأتي موصولة بالذي نراه الآن ويفاجئنا .
الحكي هذه المرة ، له ميزة أخرى . فهو يكشف أن العديد من رجالات الدولة الذين لم تكن ترى منهم سوى صفحة التجهيم واليباس ، هم بعد التقاعد أصحاب بديهة راقية وتسعهم النكتة عندما ترحمهم الأسئلة .

ملك التل

حديث السياسي ، بعيداً ههنا عن السياسة ، بات وكأنه تهمة بالغياب عن الصورة أو انعدام الموقف أو شبهة بجفاف الذاكرة .
ذوات سبق وتحذروا ، بعيداً عن السياسة ، وكانوا ممتعين في سردهم الهادئ ، اختلفت نبرة الكثيرين منهم هذه المرة . حديثهم أضحى أكثر إثارة

هل يمكن العثور على سياسي أردني واحد لديه الجرأة أو المزاج أو قدرة التحكم بلسانه بحيث يكتب بالحديث ، بعيداً عن السياسة ، وفي هذا الوقت بالذات؟ نقصد في فصل ، الربيع العربي ، الذي أصبح فيه كل شيء سياسة ، وسياسة تقوم في فاض الشك ونكبات الريبة ومحضرات رفع الصوت .
في السنوات الماضية وحتى فترة غير بعيدة ، كان الحديث ، بعيداً عن السياسة ، مغرباً وممتعاً للسياسيين المحترفين ، فما يعرفونه ويجهله الشارع ، هو أكثر بكثير مما يودون الخوض فيه . الآن تغير الوضع واختلطت بعض الاشارات الحمراء بالصفراء بالخضراء ..

طاهر المصري ضمير السياسة الأردنية .. الرجل الذي لا يضيع بوصلته (١١-١٤)

المصري يكشف السر الذي لا يعرفه الكثيرون :

الحسين دمعت عيناه عندما اضطر لدخول مفاوضات السلام ومؤتمر مدريد «حفاظاً على الأردن»



مع زملائه في غزة ..



المؤتمر الوطني الثاني لاتحاد طلبة فلسطين عام ١٩٦٢

تفاصيل لأول مرة عن ظروف استقالة الحكومة التي رفضها جلالته ثلاث أو أربع مرات ثم قبلها كاجراء يحمي التجربة الديمقراطية

يعتبرني موجوداً حتى تم فتح التسجيل وقمت بالتسجيل كأول مرشح.

هل تحديث من كان يحمل بسقوطك وهم الذين أطلقوا على حكومتك حكومة مفاوضات؟

نعم تحديثهم .. واضيف أيضا انني أثبت انني ما زلت نائبا للشعب رغم كل ما حصل في السابق. نجحت بانتخاب شعبي وكنيت من النواب القلائل الذين تضاعفت الأصوات التي حصلوا عليها. وانا ما استنتجنا نواب الحركة الاسلامية حيث نال خمسة منهم أعلى الأصوات في المملكة أكون قد حصلت عليهم على أعلى الأصوات في المملكة أيضاً .. لم اكن اطالب فقط بالفوز، وانما كنت مصراً على أكثر من ذلك وحصلت عليه لثقتي بنفسي وبمشاعر ناخبي.

xxxxxxxxxxxx

استراحة

قالها الحسين يرحمه الله «ما تعاملت مع انسان أشرف منك يا طاهر، ما مناسبها؟

بسبب إصراري على تقديم استقالتي من الحكومة خوفاً من حل مجلس النواب وحفاظاً على الديمقراطية.

لو أردت الاعتذار لمن تقدمه؟
للشعب والوطن إذا أخطأت.
في الحلقة الأخيرة : طاهر المصري «بخلي ضميره ويتحدث»

بعد استقالتي كرئيس حكومة

وقفت في طاوور التسجيل

للمرشح النيابي وحصلت على

أعلى الأصوات في المملكة بعد

مرشحي الإخوان

x x x

حكومة الخمسة أشهر أفتت

الأحكام العرفية وأصدرت

قوانين الأحزاب والمطبوعات

وأفتت صفقة الميراج المشوية

بالفساد

وعبيدات واللوزي وعرض عليهم، فاعتذر اثنان عن القبول بحجج مختلفة، وقالوا لجلالته: طاهر مناسب ونحن سندعمه، فوافقت بتحمل المسؤولية أمام جلالته. ثم جاءت العريضة التي غيرت مجرى الأحداث. العريضة التي تم توقيعها من قبل ٥٠ نائباً، خارج الدورة وكان هناك نواب دون ذكر أسمائهم ممكن أن يخرجوا الحكومة بعد أن تتعقد الدورة مصروراً على إجراء مفاوضات التسوية، والعرب قبلوا، فأخبرت جلالته الملك بأني سأستقيل وأن الأفضل أن يتولى أحد غيري، فقال جلالته: ساحل المجلس. قلت يا جلالته الملك: لقد أصبح لدينا ديمقراطية وأخذت مداها في انتخابات زهية وان أحد الأسباب التي خففت من عزلتنا أن لدينا مجلس نواب قويًا. كحكومة فائنا همما عملنا سنين تحت التهديد، ولذلك يجب أن أستقيل وبذلك سنحافظ على مجلس النواب وعلى الديمقراطية بتكليف أحد غيري بتشكيل حكومة تبدأ بداية جديدة دون محاسبة. خطأ الحكومة السابقة هي التي تتحملها !! مرة أخرى لم يقبل جلالته استقالتي وطلب تأجيل الموضوع للغد.. وفي اليوم التالي وافق وقدمتها في ١٩/١١/١٩٩١. وشكل الحكومة الأمير زيد بن شاكِر.

■ ماذا حققتم في الشهور الخمسة؟

لم أحقق إلا القليل القليل في هذه الفترة المحددة والتي لم تتجاوز الخمسة أشهر. لكن القانونيين في حكومتى يعترفون اننا في الخمسة أشهر اغينا الاحكام العرفية وقد أخذ هذا القانون وقتاً طويلاً جداً، وأصدرنا قانون أحزاب لأول مرة، وأصدرنا قانون المطبوعات والنشر لأول مرة، كما عدلنا قانون محكمة أمن الدولة، والغينا صفقة الميراج التي كان بها رشاي وبيدانا الإعداد لقانون انتخاب جديد.

■ ندمت على مرحلة رئاستك للحكومة؟

أبداً لم أندم. لكنني شعرت بالأسى كيف يمكن أن يحكم على تجربة نوابها حسنة ولديها برنامج اصلاحي يمثل طموح كل الناس ومع ذلك تجري محاكمتها سياسياً على شيء ليس ضمن برنامجها. لكن من يعمل بالحقل العام لا بد ان يتحمل الكثير ويتوقع الأكثر. وطالما أننا نطالب بتطبيق الديمقراطية علينا أن نتقبل كل شيء. عملنا كان كبيراً لكن الفترة القصيرة لم تظهره كما يجب. رشحت لمنصب رئيس الديوان لثقتك اعتردت؛ بعد استقالتي من الحكومة التي شكلها الأمير زيد بقيت وأنا خارج الحكم مع جلالته الملك في اجتماعاته الرسمية. وفي حكومته أخبرني عن رغبة جلالته بتعييني رئيساً للديوان، ولأنني نائب فان مثل سار قطار التسوية بدوننا هسنتهي، ولذلك أريد الاقتراح على جلالتهم بأن أستقيل، وتكليف غيري. وحتى لا يقال أنني تخليت عن المسؤولية خوفاً أو هرباً فإني مستعد للعودة مع الحكومة الجديدة وزيراً للخارجية وأسلمت موضوع المفاوضات. تفاجأ الملك وقال لي: هذا ليس ممكناً.. في اليوم التالي التقيت مع جلالته وسألني: ماذا سنفعل؟ قلت يا جلالته الملك ليشلك أبو شاكِر الحكومة.. وكان جلالته قد سبق وعرضها عليه، أو أحمد عبيدات أو أحمد اللوزي. وفعلاً طلب جلالته أبو شاكِر

■ وهاجمك النواب؟

نعم انشغلنا بهجومهم على الحكومة مثلما انشغلنا بموضوع جيمس بيكر والتحصير لمؤتمر مدريد والأمور السياسية الإقليمية.. ثلاثة أمور مهمة كنا مشغولين بها فلم نفعّل الشيء الكثير، لكننا أنجزنا بعض الأمور. وإضافة إلى ما قلته فقد قمنا بتمرير الأردن من عتق الزجاجة.. لو حصل خلل في موضوع المفاوضات، ولو أن الأردن لم يدخل لكننا تأخرنا بشكل كبير جداً، لأن القضاء كان يجب أن يسير. ولو بقينا على رصيف المحطة فقد كنا سنضج. كان همتنا كيف نحافظ على الكيان والوضع الأردني دون أن نخسر قناعاتنا ونوابتنا في موضوع الحل السياسي. وكما هو معروف فقد دخل الفلسطينيون معنا في وفد مشترك الى مدريد.

■ فشلت بإقناعهم بوجهة نظرك؟

نعم فشلت بإقناعهم فهناك أشخاص قاومونا سياسياً مثل الإخوان المسلمين حيث كان موضوع المفاوضات ومديريه خطأ أحمر بالنسبة لهم فقاوموا. كثير من البرلمانيين وربما الرأي العام وبالذات الإسلاميين، اعتقدوا أن حكومة منفتحة مثل حكومتى ربما جاءت لتقاوم الإخوان المسلمين حيث كانوا يرون ان هناك خطراً أميركية للقضاء على الحركة الإسلامية، وهذا كلام غير صحيح. يضاف إلى ذلك ان هناك أشخاصاً لديهم اعتبارات خاصة ضيقة فقاومونا.

■ سبق وتناشوت مع الإخوان؟

نعم.. وأعترف بأني ارتكبت خطأ بالطريقة وبالأسلوب أثناء التشاور معهم مما عزز مخاوفهم من ان تكليفي بتشكيل الوزارة جاء ضدهم وسوف يتم تحجيمهم، فقاوموا الحكومة منذ البداية وتعززت مخاوفهم أكثر عندما لاحظوا الطابع القومي على الحكومة.

■ وسبب رفض جلالته استقالتك؟

لم يكن جلالته مقتنعاً بأسبابها، لذلك رفضها أكثر من ثلاث مرات حتى أقتعته فوافق.

■ أتم بحن الوقت لتوضيحات أكثر عن سبب استقالتك؟

نعم.. سأوضح وأقول ما لم يعلمه أحد: في شهر أيلول كانت العاصفة في البرلمان بدأت تتشكل. كنت قد قلت لجلالة الملك بأن الحكومة وقعت بمشكلة مع النواب في ظل التكتلات الجويوية والحزبية ضد الحكومة. وأضفت يومها: «انا في وضع خطير، إذا سار قطار التسوية بدوننا هسنتهي، ولذلك أريد الاقتراح على جلالتهم بأن أستقيل، وتكليف غيري. وحتى لا يقال أنني تخليت عن المسؤولية خوفاً أو هرباً فإني مستعد للعودة مع الحكومة الجديدة وزيراً للخارجية وأسلمت موضوع المفاوضات. تفاجأ الملك وقال لي: هذا ليس ممكناً.. في اليوم التالي التقيت مع جلالته وسألني: ماذا سنفعل؟ قلت يا جلالته الملك ليشلك أبو شاكِر الحكومة.. وكان جلالته قد سبق وعرضها عليه، أو أحمد عبيدات أو أحمد اللوزي. وفعلاً طلب جلالته أبو شاكِر

سيبر، فلا تجعلوا قطار الحل يفتككم، اركبوه والا ستبقون على الرصيف لوحدكم.. وأضاف ان جلالته الملك سيذهب إلى باريس.. فأخبرت الملك الحسن الثاني بأني الليلة سألتحق بجلالته، وطلب مني بان أبلغ الحسين الرسالة «حيث ان الأمريكيان ينتظرون قراراً منكم حول المؤتمر الدولي.. وأضاف ان الملك الحسن سيرى ميثيران الذي يتوقع من الملك تغيير موقفه. هذا ما قاله لي ملك المغرب وكان كلاماً خطيراً جداً. وعندما وصلت باريس والتقيت بجلالة الحسين أخبرته برسالة الملك الحسن الثاني. جلالته «فهم الطابق، بشكل سريع جداً ودمعت عيناه وقال: توكلتنا على الله، غداً سنقابل معاً الرئيس ميثيران. وتم ذلك حيث كان معه وزير خارجيته في الإليزيه وأبدي جلالته الاستعداد للتعاون والتفاهم، فهمم ميثيران الرسالة وأبلغ الأميركيان في الحال. ولأول مرة بعد غياب طويل جاء جيمس بيكر إلى الأردن بزياة ضمن جولاته للتحصير لمؤتمر مدريد وانطلق قطار مدريد بوجود الأردن.

■ وكان الخارجية قادتك لكربي الرئاسة؟

لم أكن على علم مسبق بأن الأمور ستأخذ ذلك السياق؛ الملك الحسين يرى الصورة بعد نظره ويحسب حساباً للمستقبل ويخطط له وأني جئت وزيراً للخارجية قبل ستة أشهر تمهيداً لشيء ما. لذلك وأنا بوزارة الخارجية تحدث معي الشريف «الأمير» زيد بن شاكِر يخبرني أن جلالته يدعوني للغداء. يومها جلسنا ومعنا الأمير زيد نقيم الأوضاع. قال لي الملك بإتساماً: أنت ستتولى هذه المرحلة.. فسألته كيف؟ قال جلالته: ستصبح رئيساً للحكومة.. فقلت له: أنا رئيس للحكومة!! قال: نعم.. فقلت لجلالته: لكن رئاستي للحكومة تعني..؟ قال أعلم ما ستقول.. وقلت لجلالته بأن تكليفي هذا سيثير مشاكل.. فأجاب: توكل على الله.. خرجت والأمير زيد في السيارة، وسألته: يا أبو شاكِر كيف حصل ذلك؟ أجابني: لا تعلق الملك يريديك.

■ يعني تكليتي مسبق؟

قد يظهر ذلك بكل تأكيد، لكن هذا غير صحيح وغير منصف وانما هو مجرد تزامن في الأحداث. جزء منه صحيح.. هناك دبلوماسية ومفاوضات.. الخ، لكن الأهم من ذلك أن الملك كان ينوي التغيير. فبعد أحداث الكويت، قام العرب والأوروبيون بعزلنا عن محيطنا وتحجيم علاقاتنا. ثم انه بعد أحداث ١٩٨٩ كان الحسين يريد التغيير وإجراء الإصلاح. أراد أن يأتي رجال الصف الثاني ليكونوا في الصف الأول. بالنسبة لي كنت في هذا المجال، والدليل كتاب التكليف ومن يقرأه يتبعن «١٥ صفحة، يجد انه يشمل كل القضايا بما فيها المفهوم الإصلاحية. صحيح أن هناك موضوع مفاوضات، لكن الحقيقة أن هدف جلالته كان أبعد من موضوع المفاوضات، كان يريد إجراء إصلاحات، ولذلك كل من يعود لاستنكار أعضاء حكومتى يجدهم جميعاً من الشباب الممتحنين للنشاط الملتفتين.. وتلك كانت صفة الحكومة، إصلاحية.

من يريد أن يعرف لماذا وكيف تعرقل جهود الإصلاح الراهنة فانه سيسمع من دولة طاهر المصري ذكريات من مطالع تسعينيات القرن الماضي تضيء على الذي يحصل الآن، وقد تمتد إضاءتها على الحكومة الأولى التي ستعقب الانتخابات البرلمانية القادمة التي ستشهد - كما هو متوقع - تغييرات ملفتة في تشكيلات السلطتين التشريعية والتنفيذية.

أبو نشأت يستذكر في الحلقة التالية أن رغبة جلالته الحسين كانت واضحة في الإصلاح والتغيير لكسر العزلة التي وقع بها الأردن بعد احتلال الكويت، ولاستيعاب تداعيات هبة نيسان. وضع جلالته يرحمه الله كتاب تكليف مطول لظاهر المصري يتضمن - لمن يقرأه الآن - صورة تفصيلية لمفهوم الإصلاح الذي بدأه الحسين بتعيين رجالات النصف الثاني. كان معروفاً سلفاً للحسين و لظاهر المصري أن الحكومة الإصلاحية ستواجه الزواجع، وفعلاً حصل. التفاصيل التي يوردها أبو نشأت تتضمن معلومات تنشر لأول مرة ليس فقط عن أسباب الرفض المكرر من طرف جلالته للمصالحة ثم القبول بها وتقديرها كفاءة للحفاظ على البرلمان والديمقراطية. كذلك يعرض ابونشأت هنا - وللمرة الأولى أيضاً - تفاصيل عن الرسالة التحذيرية التي حملها دولته من العاهل المغربي إلى الحسين فادعت عيبيه وهو يضطر لدخول مفاوضات السلام ومؤتمر مدريد.

■ كيف استطعت ان تواعم بين مسؤولياتك كوزير للخارجية في مرحلة مفاوضات مؤتمر مدريد، وبين قناعاتك الشخصية التي يعتقد الكثيرون أنها لم تكن تتطابق مع مجريات المفاوضات؟

بدأت مفاوضات مؤتمر مدريد في كانون الثاني من عام ١٩٩٢. أيامها ذهبت إلى طهران لأول مرة والتقيت مع القيادات النظامية ثم ذهبت في زيارة إلى المغرب العربي، وكانت آخر محطة لي في زيارة المغرب هي الرباط حيث التقيت الملك الحسن الثاني. قال لي: «معالي الوزير، الدنيا تغيرت ووضع الأردن أصبح بالذي ترونه خارج إطار كل التحالفات فأنتم لوحدكم في الأردن و متمسكون بعقد مؤتمر دولي للموضوع الفلسطيني، وهذا لن يتم نهائياً. و أضاف قائلاً: الأميركيان قدموا مشروعهم وسوف

الحسن الثاني حملني رسالة

واضحة للحسين تقول: سيبقي

الأردن معزولاً إن لم تركبوا

قطار المشروع الأمريكي.

نقلت الرسالة للحسين في

باريس والرئيس الفرنسي

نقل للأمريكان موافقة الأردن

فتحرك وزير خارجيتهم وأنطلق

قطار مدريد